

(Hob.-Job. - « Sappan Wood »; « Brazil Wood »)

وشيء

- انتظـر ما سـبق -

**اليسارة** = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم فى الصيف ثلاثة أشهر تباعاً » (أبو زيد السيرافي فى سلسلة التواریخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان يسر بارض الهند اي شتا هنالك (ال سعودي : مروج الذهب 1 / 327) - أصل الكلمة بالهندية « varsha » .

**الهيل أو الهال** ، هي بالمسنكرية « هيل »  
وبالفارسية « هيل » وكان معدهن رأس هيل /  
إلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره  
الجفرا فيون العرب وابن بطوطة الرحلة 4/81.

ورس ( البقم / الصرف ) - شاعت كلمة « الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات الاوروبية في العصور الوسطى ( الإيطالية « verzi » حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

المرسوز

**سنس = اللغة المنشكية**

## ف = اللفة الفارسية

\* = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، حنيف زكرياء بن محمد بن محمود القزويني .  
E. Wustenfeld, Gottingen, 1848

2 — الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م

3 — الادريسي = نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جفرا فيا رقم 150 .

4 — ادي شير : الالفاظ الفارسية المعرفة .

5 — بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

6 — ابن بطوطه = الرحلة له ، طبعة باريس .

7 — بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخداه الرام هرمزي ،  
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.

8 — البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .

9 — البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو .

10 — الجواليقي = العرب له ، طبعة الدار ، 1361 ه .

11 — سلسلة التواریخ ( سليمان التاجر وابو زید السیرافی ) ، باریس 1811 م

12 — سليمان ندوی : عرب وهندکی تعلیقات ، الله آباد ، 1930 م .

13 — شفاء الفلیل للخلفاجی .

14 — سواء السبيل فی المغرب والدخلیل ، تأليف توما آرنولد وقاضی ظفر الدین احمد ، مطبع رفاه  
عام 1903 م .

15 — ظفر الواله بمظفر وآل للحاج دیر ، طبعة السیر دنیس روس .

16 — أبو الفداء : تقویم البلدان ، باریس ، 1830 م .

17 — لف القماط = لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب والدخلیل والاغلاط ،  
لابی الطیب الصدیق بن حسن القنجی ، بھوبال ، 1296 ه .

18 — المروج = مروج الذهب للمسعودی ، طبعة باریس .

19 — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشیخ شمس الدین ابی عبد الله محمد بن ابی  
طالب الانصاری الصوفی الدمشقی ، بطرسبورغ ، 1865 م .

20 — ابن الوردي ( سراج الدين ) : خریدة العجائب وفريدة الغرائب .

21 — ياقوت : معجم البلدان .

## المراجع الانجليزية

- (1) Bibl. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Sea-power in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

## بدء العلاقات العالمية بين الهند والعرب

للبغاة والطغاء التسلل عبر الحدود والالتجاء بملك السند ، مما زاد في اهتمام العرب بجارتهم ، وفي الوقت الذي كانت المالك الشرقية للدولة الاموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معاً بعد أن انتظمت أمورها وسلست صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحاج ابن يوسف الثقفي ، في ذلك الوقت سببت الملة التجارية بصورة مالوحة في التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري من جانب العرب ، وذلك لأن بعض القراءة استولوا بالقرب من ديبيل على مركب كان ينطلق إلى العراق عدداً من الأرامل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافقهم آجالهم في جزيرة سيلان ثم اعتذر داهر ملك السند بعجزه عن تنفيذ طلب الحاجاج بمعاقبة الجرميين وتسلیم الأسرى ، غلم يكن منه هو الآخر إلا أن ندب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السند نهائياً (3).

دخل محمد بن القاسم السند في سنة 89 هـ ووفق في إنجاز مهمته توفيقاً تماماً ، فإنه تمكّن في بحر خمسة أعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحها لل المسلمين من منابع نهر جهيلم بكثimir في الشمال إلى البحر في الجنوب ، إلى حدود مملكة فنوج (كتنوج) بالقرب من ملقان وحدود كجرات في الشرق ومنذ ذلك الحين ظل أقاليم السند جزءاً من الدولة الاموية ، تماقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسيع نطاقه في الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقو في ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا أقوياء قادرين على اخماد الثورات مالكين لازمة الأمور في الداخل .

وهكذا أصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الاسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب دخول اراضي الهند ان تصبح مبدأ

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو - الباكستانية باكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربما شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعه تحت سلطتها او نفوذها . وكان نهر « السند » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهراون » - معروضاً باسمه الحالي الى أن امتد اليه نفوذ أهل غارس في العصر القديم فسموه « هندو » جرياً على عادتهم في ابدال السين في السنسكريتية بالهاء ، ولذلك امثلة كثيرة في اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فاتروا اسم « السند » للأراضي الواقعه على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرقوا الهند قبل الاسلام وأحبواها إلى حد انهم اتخذوا منها اسماء لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها واحجارها وسيوفها وبنمارها ولما كانت تجارتهم عن طريق البحر كان من الطبيعي ان يقتصر اتصالهم على الشواطئ والسواحل ، ولاسيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا ادل على ذلك من اسماء في العربية هي في الأصل اسماء للأمكنة التي كانت تستورد منها مسمياتها، مثل المندل والهيل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المعرفة والصلة التجارية من اهم ما واجه المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة لها الى شن الغارات البحرية بقيادة تأسيس دعائم حكمهم على موقع من ساحل السند وكجرات ، تهانة ( تانه ) بالقرب من بومباي وبهروج ( بروص ) وديبيل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكررت محاولة من هذا القبيل في عهد عثمان ايضاً ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر يذكر ، ومضى العرب في هذه الاثناء قدماً من نصر إلى نصر حتى تم لهم فتح بلاد نارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتاخم حدود مملكة السند الغربية مباشرة بحيث تنسى

(1) الدكتور السيد سليمان الندوی : عرب وهندي تعلقات ص 12 .

(2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضاً وفوه « هال » أو « هيل » ( بالعامية : حب هان ) المستورد من ( رأس ) هيلي أو « إيلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عاصمة أيام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .

(3) الفتوح للبلذري 431 - 432 و 435

كبيرة ، كما ان اولئك الدخلاء اقبلوا على الآخذ  
بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث  
العبيد من اهل السندي ان بدأوا يساهمون مساهمة  
فعالة في الحوادث الجارية حتى انه ذكر أن احداً منهم  
(ابن زياد بن ابي ك بشه ) اشترك في قتل الخليفة  
الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) اما مدى سرعة  
تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن  
أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابي معاشر  
نجيح بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8)  
ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء  
امثال ابي عطاء السندي وابي الصلع (10) كلهم  
موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم  
جيلين وثلاثة على فتح السندي ، وقد استغنىت بذلك عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك ان الارتفاع وغيرهم من عامة اهل السندي  
لم يكونوا ليعرفوا العرب الا ببرطانتهم وجعلهم الجيم  
زاء وببعض الملح تتعلق بالمجانز والخصيان منهم (11)  
وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما  
اشرت اليه آتنا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين  
أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند  
ومبعث تطلع الذهان الى الوقوف عليها ، ولكن  
التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما  
كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين  
الخاصة واهل العلم من الطرفين العرب والهنود ،  
وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الاحوال الداخلية

خط لسير العلوم والأداب الهندية الى عاصمتهم ،  
ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انما نمت  
وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد  
الأموي فلا يفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة  
المقدمة لما نحن بصددناه في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرّفوا من قبل الزط ( جات )  
والميد وهم قبيلتان من قبائل السندي عرفتا بالفزو  
والنهور والشراسة فجندتها الفرس ، وربما كثروا  
احتلالهما بالعرب حتى اتنا نجد عبد الله بن مسعود  
يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله  
عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم »  
( سنن الترمذى ، باب الأمثال ) مما يدل على انهم  
 كانوا معروفيين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد ان تم فتح نارس على ايدي العرب  
انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود  
الاسلام : استخدمتهم على رضي الله عنه لحراسة  
اموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلتهم معاوية في  
مدن الشام الساحلية لواجهة الروم ، وعمرهم وليد  
ابن عبد الملك في انتاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر  
الذي سبق فتح العرب للسندي ، اما بعد ذلك فقد تيسير  
للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل  
السنديين عامة ومن اهم ما ساعد على ذلك نقل عدد  
كثير من العبيد والأماء اسرى الحرب الى العاصمة (x)  
وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهنالك بدأ العرب  
يتبعون خصائص وعادات هذا العنصر الجديد بعنابة

(4) يرجح أن الإمام أبي حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فاته ذكر أن جده زوطى كان من كابل ( حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الأسماء للتوبي ) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب اما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فذلك محاولة معرفة حوالها كثير من الموالي لاثبات أصالتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتاح : 375 — 379 .

« انظر قول ابي النجم العجلي : علت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني) ابن الاثير 5/217 .

(6) شذرات الذهب 1/278 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

(7) « كان ابا زيد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(8) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرًا على دمشق فاخرب سورها في فتنة ابي الهنadam في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وهي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا ( البيان والتبيين 1/141 ) .

(9) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وابو الصلع الهندى له ذكر في المرزيانى 513 ( أبو الفلع ) كذلك في الفهرست 164 ) والحيوان 7/171 .

(10) البيان والتبيين ( تحقيق عبد السلام هارون ) 1/70 ، 74 ، 118/1 والحيوان

وتترغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية  
الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية الوهن والاختسال  
والفتن اعقبها الانقلاب العباسي فلاقى ابو مسلم  
الخراساني بعض العناء في اخضاع منصور بن جمهور  
الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند  
منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح اخيرا في ضم هذه  
الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في  
سنة 134 هـ . وقد افtern ظهور العباسيين بمقتل  
العاصمة من دمشق الى بغداد غازداد القارب من  
السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء  
العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من البيل  
الشديد الى الفرس والمعجم وحضارتهم وآدابهم .

لم تكن الأمور تنظم في العهد الجديد حتى نرى  
ونغدا من اهل السند يند على السفاح ، وذلك قبل  
موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد  
يضم احدا من اهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن  
له اثر يذكر لصادفه وصوله في وقت غير ملائم .

(12) تاريخ اليعقوبي 2/433.

× قال البحتري ( د الجواب 2/160 ) : السنت بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الارقام معروفة عند العرب بـ « الارقام الهندية » وعند  
الافرنج بـ « الارقام العربية » [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني  
عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس « حساب الفبار » لأن الهند كانوا يرسمونها على  
التراب او الرمل بدل اللوحة او السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك في بعض ارایات الهند الى يومنا  
هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقالم مداده تراب  
في صحف سطورها حساب  
يكثـر فيها المحو والاضراب  
من غير ان يسوـد الكتاب  
حتـى بين الحق والصواب  
وليس اعـجام ولا اعـراب  
فيه ولا شـك ولا ارتـياب

(الحصرى : زهر الاداب 2/90)

(15) هاك الانماط الهندية التي بقىت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : « كردجه » ( الوتر المستوى )  
اصلها بالسنسكريتية « كرمجيا » ، « جيب » اصلها « جيووا » ، « اوج » اصلها « اوچ » بالجيم  
الفارسية ، « ارين » من « اجين » اسم بلدة في وسط الهند ، « ادماسه » اصلها « ادهماسا » .

وهذه الرواية مختلقة بدليل أن المؤرخين مجمعون على أن «برمك» لقب قديم كان يلقب به رؤساء «نوبهار» قبل الإسلام بكثير . وقال بعض آخرون أن «برمك» اسم مكان والسبة إليه «برمكي» . وأتى ابن الفقيه الهمداني وباتوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الأول أن «برمكة» يعني حاكم مكة (17) وذلك لأن معبد بلخ كان قد أنشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني أن «بر» هنا بمعنى ابن وأن «برمكة» إنما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق — مؤرخ «البرامكة» (باللغة الاردوية) إلى أن أصل «برمك» هو «برمنغ» — «بر» يعني «كبير» و «منغ» [mago] باليونانية و «مجوس» بالعربية (يعني عبد النار — وعلى هذا «برمك» يكون معناه «رئيس المجوس» وهذا القول يظهر أنه قرير جداً إلى الصواب ، مع أنه لم يعرف بعد مثال آخر لإبدال «العين» «بالكان» في التعریف ، إلا أنه قد يقتضي أن نتأكد إذا كان معبد بلخ معبداً للمجوس يعبدون فيه النار أو معبداً للبوذيين يعبدون فيه الأصنام أو «البد» على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ أن بآيدينا وصفاً ممهياً لهذا المعبد عند المسعودي والمهداني وياقوت يمكنا ، إذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتمام إلى جواب على هذا السؤال وهكذا ما يقتله ياقوت عنه :

«قال عمر بن ازرق الكرمانى : كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر بلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (أي حول بيت النوبهار) الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجوهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحجج إليه ، وتهدى له . وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانتوا يسمون أعلى قبته «الاستن» وكانت مائة ذراع في مثلثها وارتفاعها فوق مائة ذراع باروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثة وستون متصورة لسكنها خدامه وقوامه

وعلى أثر هذه البداية الحسنة لابد أن المرأة واهل العلم في بغداد قد عرفاوا واعتربوا ببراعة أهل الهند في ميادين أخرى ؛ ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشieren على هارون الرشيد ابن مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير «منكه» (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده وبقي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة أي بعد أن كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند إلى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا أن نقف عندها لعلنا نكتشفحقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين التدماء والمحثثين . وتلك الظاهرة هي التي أشار إليها ابن التdim بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند وحضارتها علماء طبها وحكمةها » (كذا / الفهرست 345) .  
فما هو مبعث هذه النزعة إلى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن أصل البرامكة حتى نصل إلى جواب لهذا السؤال .

### البرامكة من أصل بوذي لا مجوسى

المعروف عن البرامكة أن أجدادهم كانوا يتولون قبل الإسلام معيناً للمجوس يبلغ ، وكان «برمك» لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى «نوبهار» . أما أصل الكلمة «برمك» من ناحية اللغة فلم يتعرض لها القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين وأصحاب المعاجم من الغرب فقالوا بأن الكلمة مشتقة من المصدر «برمكيدن» أي المص بالفارسية وأبدوا قولهم هذا برواية مؤداها أن أول «برمك» أسلم (بعد أن خرب قتبة بن مسلم «نوبهار» في سنة 86 هـ) لما وقفت أمام الخلقة أضطر إلى الاعتراف بأنه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : «برمكم») إذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

(16) ابن أبي أصيبعة 2/33.

(17) كتاب البلدان ص 323 «فسموا سادنها الأكبر برمكا» ولئن منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) «كانوا يسمون السادس الأكبر «برمكا» لتشبيههم البيت بهـة يسمون سادنه ابن مكة مكان كل من ولـي منهم السادس برمكا» .

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العاًمود بالفارسية نحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك ادلة اخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلغ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(1) ان بلغ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب الستمية اي البوذية ، كان اكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (النهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف التوبهار فيقول : « وتدذر بعض اهل الرواية والتتقرير انه قرأ على التوبهار بلغ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذا سف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذا سف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم بباب السلطان » .

اما « بوذا سف » فلأشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل اصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ ( انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار ( 224/1 ) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذا سف » مصححا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصابئة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقررين بالقمر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان اصل « هندو » هو « اندو » اي القمر ( قارن المسعودي : « التوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر » ) .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلغ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها ( دائرة المعارف الاسلامية » Barmakids » .

نهل من شك في ان التوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الموسى بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا خلص من الصعب الاهتداء الى ان اصل التوبهار هو « توبهار » وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

وسنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي نوق القبة متلقيه بترمذ وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنته اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاكبر ويقبلوا بدبرمك » .

هذا الوصف ليقوت في معجم البلدان ( التوبهار ) يطابق لنظرا ما اوردته الهمданى ( البلدان ص 3 - 322 ) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن ازرق الكرمانى كما نعلم يقوت هو الاول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب - 48 / 4 - للمسعودي ( ايضا آثار البلاد للقزويني 221 ) ومما يجدر باللاحظة والتتبه عليه في هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر النار حتى يقال ان التوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلغ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الاوثان والاصنام التي كان من بينها « الصنم الاكبر » الذي كانت سنته اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنضف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في المهداني ويقوت ( وستقل هذه القطعة فيما بعد ) انه غصب من قبول البراكحة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونقل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذى ( Budhism ) .

رابعا : ان ( « الاستن » « آسبت » « است » ) ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » ( stupa ) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي اودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب بمئذنة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مستوطنه رامي مدينة بونال في وسط الهند . يظهر

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلغ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هـما المستشر قان زخـاو ( مقدمة الترجمة الانجليزية  
لـكتاب الهند من 31 ) وبرـتهـالـد ( Barthold ) ( دائرة  
المـعـارـفـ الـاسـلامـيـةـ ) ( Barmakids ) كما ان الاول هو  
الـذـيـ بـحـثـ عـنـ الـاـصـلـ السـشـكـريـتـيـ لـكـلـمـةـ «ـ بـرمـكـ »  
ثم تـبـعـ نـتـائـجـهـماـ الكـاتـبـ الهـنـديـ الدـكـتوـرـ السـيـدـ سـلـيـمانـ  
الـنـدوـيـ الـذـيـ يـرـجـعـ الـيـ الـفـضـلـ فـيـ بـسـطـ الـدـلـالـلـ كـمـاـ  
قـدـ اـقـبـسـتـهاـ هـنـاـ مـنـ كـتـابـهـ «ـ عـربـ وـهـنـدـكـ تـعـلـقـاتـ  
102ـ - 124ـ ، ثم يـمضـيـ الدـكـتوـرـ السـيـدـ سـلـيـمانـ  
الـنـدوـيـ خـطـوـةـ اـخـرىـ فـيـلـفـتـ النـظـرـ إـلـىـ انـ القـولـ  
بـانـحدـارـ الـبـراـمـكـةـ مـنـ اـصـلـ اـيـرـانـيـ يـنـتـفـضـ اـيـضاـ بـماـ جـاءـ  
بـهـ اـبـنـ النـقـيـهـ الـهـمـدـانـيـ ( وـيـاقـوتـ حـرـفـ ) وـهـذـاـ  
نـصـهـ :

« غلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خرسان  
ايم عنمان بن عفان وقد صارت المسداناً الى برمك  
ابي برمك ابي خالد موجه برمك الى عنمان في الرهائن  
نورد المدينة ورغم في الاسلام فأسلم وسمى عبد الله  
ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده مكتب  
بعض الملوك الى برمك يعظم ما اتي من الاسلام  
ويدعوه الى الرجوع في دين آبائه فكتب اليه برمك  
اني انما دخلت فيه اختياراً وعلماً بفضلة عن غير  
رغبة ( ولا رغبة ) (20) ولا ارجع الى دين بادي العوار  
متهمك للاستار فقضب الملك وزحف الى برمك بجمع  
كتيف فكتب اليه برمك قد عرفت جي للسلامة واني  
ان استتجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا  
صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل  
ذلك الملك واسمها نازك ( نيزك ) طرخان يفتر برمك  
ويطلبها حتى بيته وقتلها وعشرة بنين له غلم ييق لهم  
برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به  
وكان صغيراً الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم  
النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه  
وأصحابهم وباء فتشاعموا بمفارقة دينهم فكتبوا الى  
برمك فقدم عليهم ناجلسوه في موضع أبيه فنقول امر  
النبيهار فسمى برمكا وتزوج ابنته ملك الصفانيـان  
نولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالداً وعمراً وأم  
خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل  
بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية  
نولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنتاً أخرى  
(كتاب البلدان 323 - 324).

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بيهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا اعرف بكلمة « بيهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنته اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طلطا شريشا كللوه بالريحان وتوجوا بذلك باول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، غلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار نسمى نوبهار لذلك » ( ياقوت ) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسندي « ان عرفا معباد للبوذيين من قبيل وهار ، وهك مسا اورده اللاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى  
الدقل رأية حمراء اذا هبت الريح اطانت بالدينة ،  
وكانت تدور ، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في  
بناء لهم فيه صنم لهم او اصنام ليشهر بها وقد يكون  
الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من  
طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا » .

او لا تؤكّد المقارنة بين وصف معبود البوذيين هذا وبين وصف التوبهار بأن الواحِد لم يختلف عن الآخر ؟ كذلك نرى العرب يخبطون خطط عشوائية في تفسير «برمك» فلنهم لم يكونوا ليتصوروا أن تكون كلمة «مك (مكا) » غير «مكة» فاضطروا إلى القول إن البرامكة «وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها فاختذوا بيت التوبهار مضاهة لبيت الله الحرام » (ياقوت) أما «بر» فقد كان في متناولهم الكلمة «بور» بمعنى الابن بالفارسية فلجلأوا إليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم إلا ان اعتنوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بأن تكون «برمك» مشتقة من «برمكيندن» ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تترجم «وهار» واباها هي أن «برمك» أصلها باللغة السنسكريتية «برمك» ومعناها الصدر أو ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب أحد من سادة بيوت النار أو معابد المجوس ، بل إنها اختص به رؤساء التوبهار لاسم ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام أن أثبت أن أول من أشار إلى كون «النوبهار» معيلاً للبوبذين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

الكتب من المنسكرينية ( الفهرست 2/45 ) ثم انظر إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) وينبع أبان الشاعر جائزه تدرها مائة ألف درهم على نظمه قمة كليلة ودمنة (22) أما قصب السبق في هذا الميدان فكان ليحيى بن خالد — حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد تشميم وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة » شأنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة ومنكهة وبازيرك قبرقل وسندباد الذين أقاموا ببغداد ، وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ، ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد اطلاقا هو إرساله رجلا فيبعثة علمية إلى الهند « ليأتيه بعثارات موجودة في بلادهم وأن يكتب له أدريائهم » ( الفهرست 345 ) فنان التقرير الذي وضعه هذا البعض ربما كان هو الرجع الوحيد للعرب والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين إلى ظهور ذلك النابغة الحق أبي ريحان البيروني . وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين » ومطابقة حرقا حرقا نسخة أخرى بخط يعقوب بن اسحق الكوفي ، أورد منه ابن النديم مقتطفات تتضمن وصفنا لبعض المعابد وفرق الهند ( الفهرست 345 — 349 ) ونجد بمقارنة بعض أجزاء هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ ( 9/4 إلى 19 ) أن مؤلفه مطر بن طاهر المقدس ، ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم أن بيان مطر ابن طاهر المقدس كانه جزء مما جاء ( مترجم بالفارسية ) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب التوارييخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير بنى سامان ( أوائل القرن الرابع الهجري ) ويذهب البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد بدوره على كتاب المسالك الكبير ( أصل المختصر الذي نشره دي غويه ) لأن خردانبه . هذا وقد عثرت أخيرا على مخطوطتين في كتاب اخبار الزمان المنسوب إلى المسعودي ( القاهرة 1938 م من 27 )

هذا وقد جاء في التويري ( نهاية الارب 29/12 ) عن محمد بن العباس المكي عن الاسباب التي حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى الصواب فإنه يقول : « لما قلت الاموال في أيديهم ( الأمويين ) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا الاموال من غير وجهها وتعرضوا إلى أموال الأوقاف والإيتام فتعرضوا ولاة خراسان لبرمكولولده وطالبوها بالأموال وكان تحت يد برلمك أوقاف جليلة مهرب هو وولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فاتماها بما إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن برلمك وأخوه الحسين واهلهما على المتصور ، أبس جعفر لما افضت الخلافة إليه فاصطعنهم وادناهم وتربيهم الخ ( نفس الرواية في صبح الاعشى 2/126 )

ولا يجرئ بنا أن نتسائل : لماذا هربت أم أبي خالد إلى بلاد قشمير ؟ لأن أصل البرامكة كان من الهند لا من ايران ولا يخفى أن قشمير كانت مركزا من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك نشأ برلمك أبو خالد على دين آبائه . لاشك أن الفرس أدعوا انتفاء البرامكة إلى جاماسب وزير كستانسب ليثبتوا أنها أسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما أن العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى أن أم خالد جعلته من عبد الله أخي قتببة لكنها دعاء بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماء الشعراة إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين المجووس والبوذيين ولاطلاقهم « الم Gors » على العجم كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

اذن يتضح لنا كل الوضوح تلك الظاهرة القوية التي تستوقف كل من يتبع حركة نقل العلوم والأدلة الهندية إلى بغداد ، وهي عنابة البرامكة الثامة بهذا الموضوع ، فانتها نراهم يستخدمون جميع الوسائل الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون كأنهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . انتظر اليهم يستخدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة

(21) ابن أبي أصيحة 34/2 .

(22) الجهمياري 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منه كان صحيح الاسلام ، كذا في الحيوان 7/213 .

V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كأنهما أصل الترجمة الواردة في كردبزي (البندان 41 و 42).

هذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والأداب الهندية إلى المغرب وإنما تصدنا إلى إبراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها، ولاشك أنها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في أوائل القرن الثالث للمigration فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

المهندس في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجعلها قوله : « إنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والمهد والروم » (البيان والتبيين 1/137) أما استقمام نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما إذا تذكرنا أنها استمرت فيما بعد إلى أن بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

### البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب أيضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقيا (الحل السندينية في الاخبار والآثار الاندلسية لشيكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان أنها تسمى أيضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

## أبحاث عامة



# تَارِيخُهُمْ مِنْ لِفْتِهِمْ

## أَطْلَنْطِيَّة

### عَبْدُ الْكَوْنَى فَاضِلَّ

هذا جانب من وصف ذلك (الطفوان) المدمر  
الذى أغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة  
فلقىش (١)

والشطران الموضوعان بين قوسين (٠٠٠) هما  
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى  
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد  
مؤلقها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنا هنا ؟ في  
هذا الحديث الفريب موضوعاً والعجيب نتيجة ، هو  
(ابراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية  
(Irragal) ، وهو عند البابليين الاه مياه العالم  
السفلى التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا  
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس  
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله  
السفلى الشرير على قائم تلك الاعمدة هو تفسير زيادة  
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المقبول  
اجيانا ، أيام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انتقام  
السدود يفرق القرى والزرع كما شهدنا مراراً في  
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة  
الأخيرة التي الجمت وأسرجت دجلة والفرات أيام

فجين لاحت للبحر  
أولى طلائع السحر  
انبعثت من أصل افق السماء  
غمامة سوداء  
في جوفها يطلع رب « ادد »  
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »  
لينذرنا بين يديه في السهل والجبال  
وأقتلع الدعامات الالاه « ابراقال »  
(فانهال ماء العالم السفلي )  
وجاء بعده « نرتا »  
(رب الوعى ، بعزم القوى )  
وتفتق السدود ...  
وزمجرت  
عواصف الجنوب ، يوماً اكملًا  
احتدمت  
حتى طفى هبوبها العاتي ففطى الاجلا  
نفتكم فتكا باللغوسي  
هوجاء كالحرب الضروسى !  
ولم يعد اخ يرى اخاه ..  
... الخ

(١) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » في العدد الماضي .  
ولكتاب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة  
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهمنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

وببدو أن ولمي بمقارنة الالفاظ وتمحیص معانیها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عیني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عیني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذ بهذه السهولة لأن شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل Pillars of Hercules باللاتينية Hercules columnae باللاتينية ) .

واذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي ( هراکلس Herakles ) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتسائل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدرى احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرات في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الان، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantica او Atlantis) – قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذى رواه افلاطون نقاً عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مصربيون تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مأثر ائية قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم [قديمة] ، أنها كانت قبل تسعه آلاف عام – من ذلك العهد – دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويربو امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخري وقاره اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتعتبر امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبّرت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) – اليونان – وجميع الاقطارات الحاددة على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فنذاعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت ، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الاخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم فغار كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضحايا التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية – ط 9 – عام 1875 ! – التي استقينا منها هذه المعلومات ان هذى هي المادة الاساسية لحكایة الجزيرة كما رواها قدامى ، وهي حکایة ان لم تكن خیالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غمواضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتذرر البت فيه الان » .

لكننا نستبعد القول بأنها اسطورة شعبية لأن الاغريق الذين تخصصهم الحکایة احریاء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا أنها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلت ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 – الحديثة – من المعلمة البريطانية فتشكل في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتردز البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

«المحيط الاطلسي» من جهة وانها «تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر» من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها «يريو على مجموع ليبية وآسية الصغرى» .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض في شرق البحر المتوسط وهي واقعة في المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين – في البحر المتوسط طبعا – لا يتفق مع اسم اطلنطة الذي هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائنة بدرها جبوش اطلنطة » وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الايثيني وعدد آخر – يبدو انه عدد كبير – من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبيها الارجاء حتى الان .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضا ياسبة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقيا اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما في اقصى الغرب منها كالجسر ، او بالحرفي انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتح الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذي نسميه الان مضيق جبل طارق فأغرق ارضا شاسعة هي التي تسمى الان بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القاراتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت في منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي .

وتشابه المقادن بين شعوب العالم القديم في كثير من الكلمات وبعض الجزريات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على ان عقيدة الاعمدة التي تحجز المياه ويحكمها الاه ، قد كانت شائعة ايضا منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة – الانفة الذكر – اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك في صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من انهم افلاطون باختلاف الرواية من اساسها . ومهما يكن فقد اثارت المسالة مجادلات طويلة . فكتابها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة في هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة ينالش في جد ، وفي تصديق أحيانا حتى من قبل مونتaigne (Montaigne) وBuffon (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها – والمبتلة منها فيما نخال – منذ اودية هوميروس التي وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفايaciens (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكية ، وآخرون اسكندنافية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلف اوثك الاطلنطيين المفترضين هم الباسكيون او قدامى الإيطاليين او غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المذكرين لم يستطع ان يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان ت ساعينا ولو بصيص من التور فى هذه النهاية المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وایرقال ، والى دعائم هذا وأعمدة ذاك . وقد جرنا الطوفان الذى احدثه قلع اعمدة ایرقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التى اغرقتها الزلازل في المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاھلك تلك الامبراطورية التجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها في بحر من الغموض والمناقضات . فقد سلف انها تقع في

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية «ethnologists» وتقترن لعلم الاعراق البشرية «ethnology» مصطلح «الاعرقيات» على غرار الارضيات لعلم «الجيولوجيا» .